



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية مجلة فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

﴿ الجزء الأول ﴾

العدد

﴿ ٤٥ ﴾

٢٠ جمادى الآخر ١٤٣٧ هـ / ٣٠ آذار ٢٠١٦ م

إيميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦ م

﴿ فهرس الموضوعات ﴾
(الجزء الاول)

❁ كلمة العدد ص ﴿ ١٢-١٣ ﴾

رقم الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
٢٦- ١٤	الاستاذ الدكتور محمد جواد محمد سعيد الطريحي الاستاذة سارة كاظم عبد الرضا	اشكالية فهم مسألة "ما أغفله عنك شيئاً" عند سيبويه
٤٨-٢٧	أ.م. د بلال عبد الستار مشحن	خصائص الخطاب اللغوي في القرآن الكريم
١٠٨-٤٩	أ. م. د. أشواق محمد إسماعيل النجار	الدلالة الصوتية للتماثل الصامتي في صيغة (يتفعل) في القرآن الكريم
١٣٨-١٠٩	أ.م.د . إسراء خليل فياض الجبوري م. م. أحمد عبد الله عذيب	أثر التعبير القرآني في الصورة الشعرية في الشعر المشرقي في القرن الثامن الهجري
١٥٩-١٣٩	أ.م.د. نافع سلمان جاسم	الدلالة البيانية لـ (إن) و (إذا) الشرطيتين في سورة المائدة
١٨٩-١٦٠	أ. م. د. محمد فرج توفيق	السياق وأثره في تحيّر المفردة القرآنية دراسة تطبيقية في بعض آيات التكرار
٢١٩-١٩٠	د. احمد عبد الله اسماعيل الهاشمي	احكام تغير قيمة النقود واثارها
٢٦١-٢٢٠	الدكتور محمد صفاء جاسم	أحاديث العقل والتفكر كما جاءت في السنة النبوية وأثرها في السلوك الإنساني
٣١١-٢٦٢	د. صهيب سليم عمير الألويسي	أحكام الصلاة على الكراسي
٣٤٢-٣١٢	د. قاسم محمد حزم الحمود	أحكام أخذ الأم أجره الرضاع دراسة فقهية مقارنة

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

(الجزء الاول)

رقم الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
٣٦١-٣٤٣	أ.د. زياد علي دايع	الإمام سعيد بن جبير وجهوده في الناسخ والمنسوخ
٣٨٧-٣٦٢	الباحث: مايد أحمد عبدالله عبدول	قاعدة (حقوق الله - سبحانه وتعالى - مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الأدميين مبنية على الشح والضيق) وتطبيقاتها في الفقه الجنائي.
٤٠٢-٣٨٨	أ.م.د. عبد هادي القيسي	تنظيم المجتمع وأثره على الأمن الاجتماعي
٤٢٥-٤٠٣	الباحث: مظر محمود يحيى	استدراكات ابن الانباري النحوية على أبي حاتم السجستاني من خلال كتابه إيضاح الوقف والابتداء
٤٧٧-٤٢٦	د. نجم الدين قادر كريم الزنكي	صلة الرتبة المقصدية باستعمال الأدلة الحكمية دراسة أصولية تحليلية
٥١٠-٤٧٨	الدكتور محمود دهام نايف العيساوي	حديث أم زرع وأثره في السعادة الزوجية
٥٣٦-٥١١	الدكتور طالب خميس الوادي	أنوار البيان في الجزء الأول من القرآن
٥٨٢-٥٣٧	د. طه حميد حريش الفهداوي د. عبد الجبار عبد الستار روكان	رسالة للشيخ الجمل خاتمة البخاري للشيخ سليمان الجمل (ت ١٢٠٤ هـ) دراسة وتحقيقاً
٦١٤-٥٨٣	د. أحمد كامل سرحان	رسالة في تفصيل ما قيل في أبوي النبي ﷺ لابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) دراسة وتحقيق

اشكالية فهم مسألة

"ما أغفله عنك شيئاً" عند سيبويه

الاستاذ الدكتور

محمد جواد محمد سعيد الطريحي عميد كلية العلوم الإسلامية

- جامعة بغداد -

سارة كاظم عبد الرضا

اشكالية فهم مسألة "ما أغفله عنك شيئاً" عند سيبويه

ملخص البحث

يعدّ هذا البحث محاولة لكشف الغطاء واماطة اللثام عن مسألة أضحت غامضة لمن جاء بعد سيبويه من علماء النحو ؛ وذلك لسوء فهم مقصود قد وقع نتيجة لوضع سيبويه قوانين النحو وضعاً مفصلاً لأول وهلة ، وهذا ما لا يخلو من الظلال والغموض في بعض الأحيان ، وقد يكون بتصحيح وقع نتيجة لعمل النساخ ، فهذه محاولة لدراسة جديدة متأسلة ومتجذرة في بيان أسلوب سيبويه الغامض في هذه المسألة..

المقدمة

الحمدُ لله الملك الحقّ المبين المتصاغر لعظمتِه جبابرةُ الطاعينَ ، المُعترَف بربوبيته جميعُ أهلِ السموات والأرضين ، المقرّ بتوحيدهِ سائرُ الخلقِ أجمعين ، وصلى الله على سيّد الأنام وأهل بيته الكرام صلاة تُقرُّ بها أعينهم.

ويعد ، يعدّ هذا البحث محاولة لكشف الغطاء واماطة اللثام عن مسألة أضحت غامضة لمن جاء بعد سيبويه من علماء النحو ؛ وذلك لسوء فهم مقصود قد وقع نتيجة لوضع سيبويه قوانين النحو وضعاً مفصلاً لأول وهلة ، وهذا ما لا يخلو من الظلال والغموض في بعض الأحيان ، وقد يكون بتصحيح وقع نتيجة لعمل النساخ ، فهذه محاولة لدراسة جديدة متأصلة ومتجدرة في بيان أسلوب سيبويه الغامض في هذه المسألة ؛ لأنّ القارئ يجد في بعض أساليبه وعباراته غموضاً يصعب عليه فهمه حتى العلماء الكبار من تلامذته وتلاميذهم كذلك ، وما وقفنا عليه يعدّ من أهم المسائل التي تحير وعجز العلماء عن فهمها إلّا بعد حين .

وقد المح المبرّد (٢٨٦هـ) في مقولته المشهورة " هل ركبت البحر ؟ " إلى الصعوبة التي تواجه من يريد أن يقرأ كتاب سيبويه ، وفي هذه المقولة تعظيماً له (الكتاب) واستصعاباً لما فيه (١)، فكأنّه لن يستطيع تحمل مشاق قراءته والصبر على استخراج دقائقه إلّا من ركب البحر وتحمل أهواله ، وإلّا من غاص فيه واستطاع استخراج درره وجواهره (٢) .

اشكالية فهم مسألة " ما أغفله عنك شيئاً " عند سيبويه

يعدّ كتاب سيبويه السفر العظيم، الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثراً، وأرسله جمعُ الأيام ذكراً، وأدّخره للعربية كنزاً (٣)، ولذلك انمازت النظرية النحوية المدونة فيه بشموليّتها وتعدّد أنساقها الإجرائية وتنوع مناهجها الواصفة أو المحللة؛ لأنّ أساسه المنهجي لمجمل النظرية، الذي انطلق منه ناتجٌ عن تصوّر ملحوظٍ قائم على وصف طرائق التكلّم وإجرائها على نماذج الكلام المستعمل (٤)، إذ يتعامل سيبويه مع اللغة على أنّها شكل من أشكال السلوك الاجتماعي فيتبنى المقاييس الاجتماعية السائدة في عصره في تقويم مستوى الصواب في اللغة على جميع مستويات التحليل اللغوي، لذا يعدّ

كتابه هو أول مؤلف منهجي في النحو العربي فقد قدم فيه كل ما يمكن من الإيجاز لعناصره الرئيسية في النظرية النحوية (٥).

وبما أن لكل مؤلف أسلوبه الخاص في التعبير عن آرائه وعرض مادته وتوضيحها للقراء مبنياً على ما وصل إليه من ثقافة لغوية، وأدبية، وعقلية، ولكل علم من العلوم ألفاظ وعبارات خاصة ومنهج يُلتزم به، ولأنّ النحوي يحتاج إلى إيصال الفكرة والقاعدة النحوية إلى ذهن المتكلم بأسرع صورة وأدقها وأوجزها وأشملها بالشكل الذي لا يكون إيجازاً مخللاً كان عليه أن يتبع أسلوباً بعيداً عن الاطالة وأن يتجنب أسلوب الاسترسال والوصف الإنشائي، ولكل هذا نجد أسلوب سيبويه في كتابه سهل المتناول قريباً من الإفهام والتفهيم يتقبله الذوق العربي النحوي العلمي في أغلب ما ورد عنده من أبواب نحوية، أو صرفية، أو صوتية ، ومع هذا فلم يخلُ الكتاب من عبارات معقدة متشابهة (٦) غامضة المفهوم أحياناً، ومثال ذلك ما وجدناه في باب عقده تحت عنوان: "باب من الابتداء يضم فيه ما بُني على الابتداء" (٧) ، قال فيه ما نصه : "وما أغفله عنك شيئاً، أي دع الشك عنه؛ فحذف هذا لكثرة استعمالهم، وما حُذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير"، معتمداً في ذلك نظره في التحقق الدلالي من طريق السياق الذي ورد فيه الفعل المضمر، إذ يرى أنّ أثر الفعل ظاهر في هيئة التركيب المنظم فيه، والذي يلحمه المخاطب الحاذق من معموله باعتماده الآثار العاملة فيه وإن حُذف، لكن هذا لا يخفي ما في النص من الظلال والغموض والإبهام، وقد يرجع ذلك في الأعم الأغلب إلى أنّ سيبويه كان يضع قوانيناً للنحو والصرف وضعاً مفصلاً لأول مرة، فبهذه أن يدخله أحياناً شيء من الإبهام والالتواء، وكثيراً ما يوجز في موضع يحتاج القارئ فيه إلى شيء من البسط والتفصيل، ويصور ذلك من بعض الوجوه، كأن نجدّه يتحدث عن الحذف في الكلام وما قد يجري فيه حذف الفعل (٨) ومثل له بما قدّمنا من قوله، وقد يرجع ذلك أيضاً لأسباب أخرى ليس هنا موضع الإفاضة فيها ، ومنها أنّه لم تتح له فرصة المراجعة والتنقيح أو أنّ ذلك الإبهام كان من عمل النساخ ، فربّما أضاف بعض النحاة السابقين تعليقاً عليه أو شرحاً له ومع تقادم العهد عليه الصقها النساخ بكلام سيبويه فأصبح من الصعب فصلها عنه ، وقد أشار إلى ذلك قديماً السيوطي (٩١١هـ) بقوله(٩): "... كما الحقّت حواشٍ من كلام الأَخفش وغيره في متن كتاب سيبويه"، أو قد يكون لأسباب ليست من هدف البحث وغايته.

فعلى الرغم من سهولة العبارة، وما تمثله من القاعدة النحوية التي أراد سيبويه أن يبينها فيها جاءت متشابكة متداخلة معقدة التركيب، إذ ضيقت على القارئ ما يريد شيخ النحاة سيبويه قوله، فظل النحاة حتى عصر المبرّد لا يدرون ما معنى العبارة وما المقصود منها؟ ولا يعرفون بالتالي موضع حذف الفعل حتى زمن مجيء الزجاج (٣١١هـ) ، وذكر ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في كتابه تأويل مشكل إعراب القرآن في باب (ما ادّعي على القرآن من اللحن) هذه المسألة قائلاً (١٠): "كل باب من أبواب العلم: من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه ما يجلّ، ومنه ما يدقّ، ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه وتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية، ولو كان كلّ فن من العلوم شيئاً واحداً لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفي ولا جلي لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها، فالخير يعرف بالشر، والنفع بالضرّ، والحلو بالمر، والقليل بالكثير، والصغير بالكبير، والباطن بالظاهر.... وليس منه شيء إلا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذي يتخيّر فيه" ، ونحن نرى أنّ أول من كشف الغطاء عن تفسير هذه المسألة وأزال الغبار عنها هو الزجاج ؛ لأنّه من أشهر تلامذة المبرّد بما نقله عن استاذة ، بدليل قول أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) (١١): "بأنّ هذا الحذف ما فسره من مضى إلى أن مات المبرّد ، وفسره أبو إسحاق الزجاج بعد ذلك" ، بمعنى آخر أنّ هذه المسألة بقيت مبهمّة من تأريخ وفاة سيبويه (١٨٠هـ) إلى أن جاء الزجاج فوضحها مبيناً المراد بما قصده سيبويه منها ، أي بعد زمن يزيد عن قرن وثلاثين عاماً.

ويقول المستشرق كارتر (١٢): " فلربّما يجدر جذب الانتباه إلى سوء فهم أساس لمقصود سيبويه، والذي يبدو إلى حدّ ما واسع الانتشار، وهو بالذات أن كلّ شاهد على حالة نصب يجب أن يُعزَى إلى فعلٍ ما، إمّا أن يكون واضحاً، أو مفهوماً ضمناً ما".

والحقّ أنّ العلماء قد اختلفوا في مراد سيبويه في هذه المسألة وشرحها، فقال الأخفش الأوسط سعيد ابن مسعدة (٢١٥هـ): "أنا مذ عقلت أسأل عن هذا فلم أجد من يعرفه على الحقيقة، وكان يونس (١٨٢هـ)، يقول : " ذهب من كان يعرف هذا، والسبب في هذا هو أنّ هذا كلام جرى كالمثل وفيه حذف قلّ استعماله مظهراً فمضى من كان يعرفه" (١٣).

وقال المازني (٢٤٩هـ): "عرض سيبويه في هذا بين لأنه قال "ما أغفله عنك شيئاً" أيّ دع الشك، فالناصب لشيء، الفعل المذكور وهو أغفل، تقديره: عنك، فنصب غفلة على المصدر، ثم يضع الشيء مكان المصدر" (١٤).

وذكر الأخفش أنّ هذا الكلام ليس بتعجب إنّما معنى الكلام "الذي أغفله عنك شيئاً" أي قليلاً أمر من الأمور، فيكون خبر المبتدأ مضمراً، ويكون (ما) بتأويل (الذي) على الخبر ثم يقبل على صاحب له فيقول له: دع عنك الشك ممّا خبرتكَ به لأنّه حق" (١٥)؛ لأنّ الأخفش يرى أنّ (ما) في صيغة التعجب (ما أفعله) موصولة.

أما أبو سعيد السيرافي فذكر أنّ معناه كلام على ما تقدم كأن قائلاً قال: زيدٌ ليس بغافلٍ عني، فقال المجيب: بلى ما أغفله عنك شيئاً، أي تفقد واستنبت أمرك، فاحتج به على أنّ الحذف (حذف انظر) الناصب شيئاً، كأنك أردت أن تبعثه على أن يعرف صحة كلامك، فقلت: أنظر شيئاً فإنك تعرف ما أقوله لك كما تقول انظر قليلاً، أي تفقد، وذكر من المحذوفات هل من طعام؟ أي: هل من طعام في مكان أو زمان؟ أي: هل طعام، وهذا وما بعده غير محتاج إلى تفسير والله اعلم (١٦).

وكان الزجاج يقول: لم أر من هذه التفسير شيئاً يليق بالمسألة وإنّما شرحها على الحقيقة على ما شرحه لنا أبو العباس المبرّد، قال: تقدير هذا الكلام أن يكون رجل له صديقٌ مناصحٌ له، وله عدوّ مكاشحٌ له ومظهرٌ له المودة نفاقاً، ومُسرِّ العداوة فقال له صديقه: إنّ فلاناً عدوّ لك. فقال: ما هو بعدوّ لي ولكنّه صديق، فقال له صديقه في الحقيقة: هيهات ليس الأمر كما قدرت وإنّه لعدوّ عليك، ثم أقبل عليه فقال: ما أغفله عنك. أيّ إنّ عدوّك غافل عنك ولو علم أنك هكذا واثق به لأهلكك، ثم قال له بعد ذلك (شيئاً) فنصبه بفعل مضمّر كأنه قال: فكر شيئاً وانظر شيئاً، أيّ إنّك لو فكرت أدنى فكر ونظرت أدنى نظر بأنّ لك بأنّه عدوّ لك ولم تركز إليه بعد هذا، و(شيء) يستعمل موضع ما يقلّ مقداره جداً، كقولك: هذا الدينار يزيد قيراطاً وحببتين، فإذا كان مقداره الزيادة يسيراً جداً قيل: هذا الدينار يزيد شيئاً، وكذلك وضع الرجل الشيء في مسألته مكان أدنى نظر وفكر، فغمض هذا الكلام لما قلّ استعمال هذا المضمّر الذي ذكرناه في كلامهم، فهذا هو معنى قول سيبويه يعقب: ما أغفله عنك شيئاً، أيّ دع الشك؟ هذا واضحٌ بيّنٌ وهو معنى المسألة في الحقيقة وهو من المضمّرات التي تخفى على من لم

يسمعها مظهرة، ألا ترى أنّ الناصب لشيء ليس المذكور في أول الكلام^(١٧)، وإنّما ذكر سيبويه هذا الكلام في باب لولا^(١٨).

وهذا الرأي منقول عن الخليل (١٧٠هـ) - ولم أجده في كتابه - وهو أنّ (ما أغفله عنك شيئاً) ، الأصل في (شيئاً) هو (شكاً) ، وعنك بمعنى (دع) ، وعلى هذا فتصبح العبارة (عنك شكاً) أي : (دعُ الشك) ، ودليل ذلك ما ذكره الجوهري من أنّ قولهم : ما أغفله عنك شيئاً ، أي دعُ عنك الشك ، وهذا حرفٌ رواه سيبويه كأنّه قال : ما اعلم شيئاً ممّا تقول فدعُ عنك الشك ، ويستدل بهذا على صحة الإضمار في كلامهم للاختصار^(١٩) ، ويرى سيبويه أنّ (ما أغفله) أي ما غفل عنه الخليل ونسأه هو عبارة (عنك شكاً) ، أي (دعُ شكاً) ولهذا نُصِب المصدر ؛ لأنّهم لم يريدوا أن يخبروا به شيئاً، وإنّما الغرض منه الطلب .

والمضمر بعد هذا، ونظيره قول العرب: كان ذلك حينئذٍ الآن، ألا ترى أنّ حينئذٍ زمان قد مضى، والآن زمان أنت فيه، وإنّما معنى الكلام: كان ذلك حينئذٍ واستمع أنت إليّ الآن، أو لا ترى أنّ المضمر الذي يتصل به الآن غير الكلام المذكور أولاً، وكذلك المضمر في باب لولا ؛ لأنّك إذ قلت: لولا زيدٌ لأكرمتك، إنّما ترفع زيدا بالابتداء ولا خبر له في الظاهر وإنّما الخبر مقدّرٌ مضمرٌ، والتقدير لولا زيد أهابه وأجلّه لأكرمتك، فاللام جواب والخبر مضمر، ولا بدّ من هذا الإضمار وإلاّ كان الكلام غير مستقيم^(٢٠)، وبذلك فهمت العبارة واتضحت بعد أن كانت عند من سبقه من النحاة كأنّها لغزٌ من الألغاز .

وفي هذا خروج على القاعدة المعيارية المتمثلة بالقواعد النحوية المتبعة ؛ لأنّ العربي يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضرب من الغلط فيعدل عن قياس كلامه، كما قالوا "ما أغفله عنك شيئاً"^(٢١) وأكّده سيبويه ذاكراً أنّ نصب هذا الاسم بإضمار فعل يفسّره ما بعده خارج على القياس؛ لأنّه لا يحذف الشيء حتى يتقدم من اللفظ أو من قرائن الحال ما يدل على الفعل، وأمّا أن يُحذف الفعل على شريطة التفسير فخارج على القياس وشبهة سيبويه بالإضمار على شريطة التفسير^(٢٢)، وهذا التفسير عنده تفسير معنى لا تفسير إعراب ؛ لأنّه لو كان تفسير إعراب لخارج على بنية التركيب وهذا محال ، والإضمار يأتي في الأفعال على ثلاثة أوجه: الأول منها: واجب الإظهار، والثاني: جائز الإضمار والإظهار،

والثالث: واجب الإضمار^(٢٣)، فالوجه الأول يجب فيه الإظهار ولا يحسن فيه الإضمار، كأن تقول: (زيد)، وانت تريد أن تقول: (لِيُضْرَبَ زيدٌ) أو (لِيُضْرَبَ زيدٌ) إذا كان فاعلاً، ولا (زيداً) وانت تريد (ليضرب عمرو زيداً)، أمّا الوجه الثاني كقولك: (زيداً) و (عمراً)، فإن رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: (زيداً)، أي أوقع عملك بزيد، ففي هذه الحال يجوز إضمار الفعل لعلم المخاطب به كما يجوز إظهاره^(٢٤)، والوجه الثالث ما يجب فيه الإضمار، ونظائر هذا المضمرة الذي لا يجوز إظهاره كثير في كلامهم وهو نحو قول سيبويه: ما أغفله عنك شيئاً، في تركهم إظهار الناصب لشيء، واستعمالهم إيّاه مضمراً.

ويمكن أن نلخص مجمل ما قيل عن هذه المسألة، بأنّ نصب (شيئاً) على إضمار فعل هو من قبيل ما أسماه الرضي (٦٨٦هـ) ^(٢٥) بـ(علامة التمام)، أي التمام النحوي داخل الجملة، فمن جهة تقوم المفردة المنونة بوظيفتها النحوية على نحو تامّ، ومن جهة أخرى يمثل هذا خضوعاً للقوانين العربية في البناء^(٢٦)، وهو مراد سيبويه من نصبه لـ (شيئاً)، بفعل فُصِدَ إضماره، إذ ربط فعل الأمر (دع) بالنمط التركيبي والمتمثل بقوله: ما أغفله عنك شيئاً، وبطلب إيقاع الفعل، ومن ثمّ فإنّ الفعل لم يقع، إذن فهو غير واجب؛ كونه غير واقع وغير منجز، لذا كانت حجته في إضماره سليمة في التركيب، ودقيقة في الاختيار بأنّ قضية النصب ليس الغرض منه أن يخبروا بالنصب شيئاً وإنّما القصد منه الطلب.

وملاحظة سيبويه هنا جليّة الشأن فمصطلح الفعل غير الواجب صيغة افتراضية الفعل، أي أنّ الفعل كان من المفترض أن يقوم به الفاعل، لا الإخبار بأنّه قام، أو يقوم، أو سيقوم به، وهي مسألة عميقة، فهو بذلك المفهوم يقابل ما عناه النحاة الإنكليز من دراستهم لموضوع الفعل في لغتهم بمصطلح Subjunctive^(٢٧)، ونصب سيبويه لـ(شيئاً) لا يخلو من دلالة الإبداع التي جسّدها في قوله، وهي استمرارية الفعل الناصب (المضمرة)، وأنّه لم ينقطع، لأنّه لو كان كذلك لجاء بها منونة بالكسر (شيءٍ)؛ لأنّه أراد الإخبار بوقوعه، لذا جاء بها منصوبة دلالة على الاستمرار، ويمكن أن نصف الفعل المضمرة هنا بالفعل الدائم غير المنقطع في دلالاته الزمانية.

ويرى كارتر أنّ الكلمات التي تنتهي بالتتوين لا يمكن أن تضاف إلى كلمة مجاورة في حالة الجر أو الخفض؛ لأنّ التتوين علامة على حدود شكلية للوحدة الصرفية الكاملة، أو لسلسلة متعاقبة منها، وأنّ العناصر المؤشرة بهذه الطريقة تدل على أنها كاملة تستطيع أن تؤثر في عناصر أخرى في الكلام، إذ تتخذ حالة النصب^(٢٨)، وهذا ما ذهب إليه علماءنا في أنّ التتوين في الأسماء دلالة على أنه غير مضاف ويمثل الشكل النهائي للمفردة .

وكلّ ما تقدّم يدل على الفكر التحليلي لمفهوم الجملة عند سيبويه، فالعمل عنده هو الفكرة الرابطة التي تجعل من الجملة نسيجاً واحداً متلاحماً، مسبوكاً بنيوياً فهو كتلة وبنية واحدة، ويجعل ذلك من مفهوم العمل ومفهوم البناء مجالين تحليليين له لا ينفصلان في إطار تحديد مفهومه للجملة ، فالعمل هو النواة التي تولد الوظائف النحوية المرتبطة به، أمّا البناء، فهو الهيئة الحاصلة من العمل أو الربط، فهو البنية التي تضم الوظائف والتي تسمى الجملة^(٢٩).

وهذه عبارة من كلام العرب احتج بها وفسرها، ومع ذلك تحير فيها المتقدمون؛ لأنهم قد تأخر زمنهم عن قائلها، فلم يعرفوا أين المحذوف؟ وما تقديره؟^(٣٠) ، ويرجع سبب غموض سيبويه إلى عباراته ؛ لأنّ أغلب تحليلاته يذهب في تفسيرها تفسيراً معنوياً وليس تفسيراً إعرابياً على ما جاء في كلام العرب ومخاطباتهم اليومية ، لذا نجده كثيراً ما يردد عبارة (فهذا تمثيل ولا يتكلم به)^(٣١) ولربّما ليس هناك أدق من هذا التعبير الذي يستعمله الخليل للدلالة على الطابع الافتراضي لهذه الرؤية المنهجية للبناء العميق، إذ وظف سيبويه إبداع الخليل هذا فعمل على الافادة منه بصورة بدت واضحة جلية في كتابه ويبدو حرصه كأستاذه على إلحاق الصيغ بما يوضح أنّ جملها لم ترد في كلام العرب ، أي الاهتمام بالمحافظة على الطابع الافتراضي لهذه الجمل^(٣٢) ، ومنها عبارة (ما أغفله عنك شيئاً) ، إذن لكلّ إنسان في التعبير عن معانيه نمطاً مفضلاً يعتمده ويود أن لو استقام له أبداً على ما يريد، فجاءت كلماته متلاحمة مستوية لا قلق فيها ولا نتوء ويجذب بعضها بعضاً، فبرز قصده كونه متصوراً لتكوين الجملة وبنائها في نفسه قبل أن يصرح بها، إذ تعدّ من مخزونه اللغوي المكون الذي أظهره بصورة صحيحة في حيز الاستعمال اللغوي ، وهو ما يسمى بالبنية العميقة للغة.

لكن عاب المستشرق مايكل هذا على سيبويه بأنه لا يعزو مطلقاً حالة النصب في الظروف إلى عامل مؤثر فعلي كما في قوله^(٣٣) : "داري خلف دارك فرسخاً"، فتفسير حالة النصب في (فرسخاً) كالاتي: الجملة كاملة مسبقاً رغم أنها غامضة نوعاً ما قبل إضافة (فرسخاً) ، إذ جرى التأثير فيها بما سبقها بالطريقة نفسها، فيقول: "وبإيجاز خادع يكون سيبويه قد وضع موضع التنفيذ مبدأين أساسيين من مبادئ نظريته النحوية"^(٣٤) ، وهما الرمز الواضح والصريح للكلام المكتفي ذاتياً المُعَلَّم بالتتوين وهو قوله (شيئاً)، ورمز للعنصر الدخيل غير الجوهرية وهو الفعل المضمر .
وهذا التناول على سيبويه مردودٌ على أصحابه ؛ لأنهم أساءوا فهمه من طريق عجزهم من أن يأخذوا بنظر الاعتبار مغزاه من ذلك، لأنه مفكّرٌ عربيّ نظاميٍّ أكثر بكثير مما أقرّ به ناقدوه.

نتائج البحث

وفي الختام نود أن نكون قد وفينا هذه المهمة الجليلة حقها من البيان ومعرفة الحقيقة المتجلية فيها ، بما اوضحنا وجه القصور في فهمها ومعرفة مقصدها بطرائق منهجية نأمل بأنّها قد أسهمت في سدّ خللٍ معينٍ ، إذ توصل البحث فيها إلى أنّ:

١. سبب غموض عبارة سيبويه يرجع إلى ألفاظه التي كانت معروفة ومألوفة بالنسبة إلى ثلّة من علماء عصره ، فالكتاب قد وجد في الموضوع الذي يستحق أن يكون فيه ، لأنّه أُلّف في زمان قد أُلّف أهله مثل هذه الألفاظ ، وكان مذهب الكتاب مختصراً لمذاهبهم .

٢. تعامل سيبويه مع اللغة كونها شكل من اشكال السلوك الاجتماعي ، فبنى المقاييس الاجتماعية السائدة في عصره في تقديم مستوى الصواب على جميع مستويات التحليل ؛ لما اتصفت به اللغة كونها لغة خطاب قائمة في المجتمع.

٣. تميز الفكر السيبويهي بالنظرة التحليلية المتمثلة بالبنى العميقة للتركيب النحوية ، فالصور الذهنية التجريدية التي وصل إليها سيبويه في تحليله الجمل ومعالجتها مثلت المستوى الافتراضي القبلي والذي صاغ فيه تركيباً غير مستعمل بل افترض وجوده في نفسه ، فهذا الوجود هو الأصل الذي يكشف عن ريادته في زج الحدس اللغوي لمعرفة قوانين النظام النحوي الذي ترخر به اللغة العربية .

٤. تمام المحتوى الدلالي الذي يتضمنه التركيب الجملي يتمثل عند سيبويه بمقصد المتكلم (منتج النص) بالدرجة الأولى وما يعكسه ذلك على المخاطب (متلقي النص) ، معتمداً في ذلك معيار حسن السكوت واتمام الفائدة ضمن حيز الاستعمال في مقامات التواصل .

٥. وفيما يخص مجال التأصيل الفكري فقد وجدناه يضع موضع التنفيذ مبدئين أساسيين من مبادئ نظريته النحوية ، هما الرمز الواضح والصريح للكلام ، ورمز العنصر الدخيل غير الجوهرية ، وجعل من مفهوم العمل والبناء مجالين تحليليين له لا ينفصلان عن اطار تحديد مفهومه للجملة .

- ١ (أخبار النحويين البصريين : ٤٠ .
- ٢ (ينظر سيبويه حياته وكتابه (د. خديجة الحديثي): ٦٩ .
- ٣ (سيبويه إمام النحاة: ١٢٨ .
- ٤ (ينظر منهج الاستبدال النحوي في كتاب سيبويه دراسة وتحليل: ٥ .
- ٥ (ينظر نحوي من القرن الثامن الميلادي: ٢٩-٣٠ .
- ٦ (ينظر المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي): ٨٥-٨٦ .
- ٧ (الكتاب: ١٢٩/٢ - ١٣٠ .
- ٨ (ينظر المدارس النحوية (شوقي ضيف): ٦٢ .
- ٩ (الأشباه والنظائر في النحو : ٥٧/٤ .
- ١٠ (تأويل مشكل إعراب القرآن : ٥٨ .
- ١١ (شرح السيرافي: ٤٦١/٢ ، النكت: ١١١/٢ .
- ١٢ (عشرون درهماً في كتاب سيبويه: ١٢٢ .
- ١٣ (أخبار أبي القاسم الزجاجي: ٢١٦ .
- ١٤ (المصدر نفسه: ٢١٦ .
- ١٥ (ينظر معاني القرآن (الأخفش): ٤٣/١ ، وأخبار أبي القاسم الزجاجي : ٢١٦ .
- ١٦ (ينظر شرح السيرافي : ٤٦١/٢ ، والنكت : ١١١/٢-١١٢ .
- ١٧ (أخبار أبي القاسم الزجاجي: ٢١٦ .
- ١٨ (ينظر الكتاب: ١٢٩/٢ .
- ١٩ (ينظر لسان العرب: ١١ / ٤٦٦ ، مادة (عقل) ، ويذكر الشيخ ابن برّي أن ما رواه سيبويه: ما أغفله عنك شيئاً ، بالغين المعجمة والفاء ، والقاف (أغفله) في قول الجوهرى تصحيف .
- ٢٠ (أخبار أبي القاسم الزجاجي: ٢١٧ ، ينظر شرح السيرافي : ٤٦١/٢ .

- (٢١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٥٥/١.
- (٢٢) ينظر الكتاب: ١٧٦/٢، والبسيط في شرح جمل الزجاجي: ٦١٦، ويسمى عند النحاة أيضاً بالمنصوب بالفعل اللازم إضماره، واشتغال الفعل عن المفعول بضميره، أو ما أضمراه عامله على شريطة التفسير، أو ما لا يعمل إلا مضمراً.
- (٢٣) ينظر شرح كتاب سيبويه: ١٥٤/٢، والنكت: ٤٥٤/١.
- (٢٤) ينظر الكتاب: ٢٥٥-٢٥٣/١.
- (٢٥) شرح الرضي على الكافية: ٨٩/١، ٤٨٣/٤، إذ فهم الرضي نظرة سيبويه لوظيفة التنوين فهماً دقيقاً.
- (٢٦) ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٥٥.
- (٢٧) ينظر إعراب الفعل دراسة في الدلالة النحوية: ٣٧، ومفهوم الجملة عند سيبويه: ٨٩.
- (٢٨) ينظر عشرون درهماً في كتاب سيبويه: ١٢٢.
- (٢٩) ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ١٥٥.
- (٣٠) ينظر المدارس النحوية (د. خديجة الحديثي): ٨٧.
- (٣١) ينظر الكتاب: ٨٣/١، ٣١٢، ٢٨/٢، ٩٢.
- (٣٢) ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه: ٢٥٢.
- (٣٣) الكتاب: ٤١٧/١.
- (٣٤) ينظر عشرون درهماً عند سيبويه: ١٢٤.

Abstract

In The Name Of Cad The Merciful , After Greetings :

This Search Is AN attempt To Un cover about Mysterious Issue For those Who Come after sibawayh Of Syntax Scientists ; and that's because intentional Misconception We Will try to Explain that in the Search Content , So this Study is An attempt To explain the Mysterious Style Of Sibawayh in this Issue because the Difficulty that's Book reader faces in the Book Content to Understand It ' So Considered this Issue From the Importance Issue Which Confuse the Syntax Scientists to Understand it ; except after a period Of Time .